حول الأصول المشرقية اليمنية لصنهاجة الصحراء

د. النانى ولد الحسين
أستاذ التاريخ الوسيط
جامعة نواكشوط

عندما استقر العرب الفاتحون فى المغرب، وتمكنوا من إخماد الثورات المناهضة لوجودهم، ولرسالتهم هنالك ، تطلعوا من جديد إلى مواصلة زحفهم باتجاه الشمال والجنوب، وكان ذلك فى مطلع القرن 2هـ - 8م، فكان فتح الأندلس بقوة السلاح، كما تم إرسال حملات عسكرية إلى الجنوب باتجاه الصحراء وعبرها إلى السودان، من بينها على سبيل المثال حملة حبيب بن أبى عبيدة، وحملة المشترى بن الأسود الخ...

لكن الصحراء التى كانت منذ عهد الرومان - وربما قبلهم - ملجأ للثائرين ومخبأ آمنا لهم، لعبت فيما يبدو نفس الدور عندما تقدمت خيول العرب فى أغوارها، مع العلم بأن العرب لم يكونوا غرباء على ظروف الصحراء القاسية، وإنما كان يعوزهم التعرف على مظان وجود نقاط المياه النادرة والمسالك المؤدية إليها، وهذا ما نعتقد أنه هو السبب الكامن وراء عدولهم عن سياسة الغزو كوسيلة لفتح المنطقة ونشر الإسلام، واستبدالها بمحاولة إرساء علاقات سلمية مع سكان تلك المنطقة مرتكزة على التبادل التجارى.

وقد سمحت لهم تلك العلاقات بالتعرف أكثر على المنطقة وسكانها الذين كانوا فى معظمهم من قبيلة صنهاجة.

وكان هذا القبيل مندرجاً بصفة عامة ضمن سكان المغرب الكبير المعروفين تحت اسم البربر.

وإذا كان النسابة والمؤرخون العرب والبربر قد اختلفوا حول عروبة البربر[1] فإن معظمهم اتفقت آراؤه حول الأصول العربية لصنهاجة وكتامة.

وبما أنه من الصعوبة بمكان الإحاطة بكل النسابة والمؤرخين الذين تعرضوا لهذا الموضوع، فإننا سنكتفى هنا بالتركيز على مشاهيرهم خاصة أولئك الذى تتوفر لدينا كتاباتهم، فى حين سنورد أسماء الآخرين الذى أصبحوا يشكلون مرجعية المؤرخين الذى أتوا من بعدهم، بحيث أصبحوا يكتفون بإيراد آرائهم المشتركة، ثم إلحاقها بلائحة أسمائهم، مثل ذلك ما أورده القلقشندى[2] عندما تعرض لحميرية صنهاجة فكتب يقول: «ويقال أنهم من حمير من عرب اليمن وليسوا من البربر، قاله الطبرى والمسعودى وعبد العزيز الجرجانى وابن الكلبى»، وأضاف كتاب آخرون إلى هؤلاء، أسماء أخرى لنسابة ومؤرخين يتبنون نفس الرأى[3].

ولم يكتف أولئك المؤرخون بارجاع صنهاجة إلى أصول عربية يمنية فحسب، وإنما خاضوا فى أسباب هجرتهم من اليمن إلى المغرب والصحراء، وتاريخ تلك الهجرة، واختلفوا حول ذلك.

---

(1) انظر فى هذا الصدد مثلا: الإمام أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى: فتوح البلدان، تحقيق وتعليق عبد الله أنيس الطباع وعمر أنيس الطباع، منشورات مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، 1987، ص: 315، وكذلك القاضى النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمى: كتاب المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقى، إبراهيم شبوخ ومحمد اليعلاوى، نشر الجامعة التونسية، كلية الآداب، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس 1978، ص: 138، الخ ...

(2) أبو العباس أحمد القلقشندى: نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب تحقيق إبراهيم الإبيارى: دار الكتب الإسلامية. دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى – بيروت، 1980، ص: 317.

(3) يراجع مثلا ابن خلدون: العبر المجلد 6، سبق ذكره، ص: 26، 177، 192، وكذلك: المختار ابن حامدن: «بعض ملامح الوجه التاريخى والثقافى لموريتانيا» مجلة الفكر. السنة الـ 23 العدد 2، تونس 1977، ص. ص: 40 - 47. والأنيس المطرب، سبق ذكره، ص:119.

وفى هذا المضمار يورد بعضهم[1] رواية مفادها أن أحد ملوك اليمن يدعى افريقش فر هو وجيشه إلى مصر، نتيجة لمطاردة الاشوريين له تجاوز النيل باتجاه المغرب، ولم يتمكن هو وجيوشه من العودة فسميت إفريقية باسمه، ويرجع مؤرخون آخرون أسباب الهجرة الحميرية من اليمن إلى المغرب إلى رواية أخرى تحمل فى بعض تفاصيلها طابعا أسطوريا واضحا، لكنها مع ذلك تحافظ فى مجملها على ما اتفقت عليه روايات عديدة وهو مبدأ الهجرة وتتلخص، تلك الرواية، فى أن أحد ملوك اليمن من التبابعة آمن بالرسالة المحمدية قبل البعثة النبوية، وذلك بعد أن حدثه عنها أهل الكتاب فآمن معه بعض من رعيته، وبعد وفاته تعرض أولئك المؤمنون إلى التقتيل والمطاردة من طرف خليفته، فتلئموا وفروا، ولم يستقر لهم قرار إلا بالمغرب[2]، واحتفظت غالبيتهم باللثام الذى كان سبب نجاتهم.

هذا فى الوقت الذى تحدث فيه مؤرخون عرب آخرون عن أن الهجرة الحميرية، تمت فى فترات أحدث نسبيا مما سبق أن استعرضناه، بحيث ذكر بعضهم أنها تمت بعد تحطم سد مأرب، فى حين يرى البعض الآخر من امثال ابن الأثير[3] والنويرى[4] أنها تمت بعد ظهور الإسلام، وارجعوا أسبابها إلى مشاركة «قبائل صنهاجة الحميرية» فى الفتوحات الإسلامية، واعتبرا أن الخليفة أبابكر الصديق - رضى الله عنه - هو الذى سيرهم إلى الشام، ومنه انتقلوا إلى مصر، التى توجهوا منها - حسب نفس المصادر - إلى المغرب فى جيش موسى بن نصير.

---

(1) الحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقى: وصف إفريقيا - ترجمة عن الفرنسية. محمد حجى - ومحمد الأخضر - ط2- دار الغرب الإسلامى - بيروت 1983، ص: 27.

(2) مجهول: كتاب الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية - تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء ص: 18.

(3) ابن الأثير - مصدر سبق ذكره، ص: 74.

(4) أحمد بن عبد الوهاب المعروف بالنويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، تحقيق وتعليق: مصطفى أبو ضيف أحمد - دار النشر المغربية الدار البيضاء 1985، ص: 377.

وهنالك روايات أوردها العديد من المؤرخين والنسابة العرب، تؤيد عروبة صنهاجة تصب فى هذا المجال، ومن بينها روايات تكتبها كتاب ينتمون إلى صنهاجة، من ذلك ما ذكره عبد العزيز بن شداد – وهو أحد أحفاد الأمير المعز بن باديس – من أن دخول صنهاجة إلى المغرب كان عقب غزو الحبشة لليمن وتغلب جيوشها على الملوك الحميريين، فكان خروج المثنى بن المسور إلى المغرب[1] وينقل النويرى[2] عن نفس الشخص أن بالصحراء قبائل من العرب، ويعنى بها لمتونة ولمطة ومسوفة الخ... ويذكر أنها من حمير.

ومن المعروف أن سكان الصحراء من الملثمين كانوا يفخرون بانتسابهم إلى حمير، ويطرب أمراؤهم وملوكهم، إن هم مدحوا بامجاد حمير من ذلك مثلا ما مدحهم به أبو محمد ابن حامد الكاتب فى قوله:

قوم لهم شرف العلا من حمير ... وإذا انتموا صنهاجة فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة ... غلب الحياء عليهم فتلثموا[3]

وكذلك ما أورده ابو فارس عبد العزيز الملزوزى فى أرجوزته فى التاريخ، وذلك عندما تعرض للمرابطين فقال عنهم:

إن المرابطين هم من حمير ... قد بعدت انسابهم عن مضر
كانوا ملوكا فى الزمان الأول ... وأمرهم وحالهم لم يجهل
وقد رأيت فى كتاب النسب ... قولا به أعجز أهل الأدب
بأن صنهاج أبوه حمير ... وهو أب لصلبه لا العنصر[4]

وقد ورد فى رسالة الاستنجاد التى وجهها المعتد بن عباد – وهو من أسرة

---

(1) النويرى: مصدر سبق ذكره، ص: 300 - 301.
(2) نفس المصدر، ص: 377.
(3) انظر ابن الأثير: مصدر سبق ذكره، ص: 76.
(4) أبو فارس عبد العزيز الملزوزى: نظم السلوك فى الأنبياء والخلاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، 1963، ص: 48.

ترفع نسبها إلى المناذرة – إلى يوسف بن تاشفين يستحثه فيها على الجهاد فى الأندلس وحمايتها من النصارى، فخاطبه قائلا: «... وقد ساءت الأحوال، وانقطعت الآمال، وأنت أيدك الله، ملك المغرب أبيضه وأسوده، وسيد حميره ومليكها الأكبر وأميرها وزعيمها...»[1]، كما تمسك خلف الصنهاجيين بهذا النسب، ولم يكن لديهم شك حول ثبوته.

ومن الأمثلة على ذلك ما نجده على سبيل المثال لا الحصر – عند بعض الزعامات الدينية والقبلية الصنهاجية خلال القرن 17م، حيث كانت تطلق على مجموعاتها اسم «عرب النقاب»[2] تمييزا لها عن العرب المعقل الذين وصلوا إلى المنطقة ابتداء من القرن 13م.

كما انبرى كتاب المنطقة من الصنهاجيين بصفة خاصة، فبدأوا فى سباق فى مجال كتابة المؤلفات التى تهدف إلى تأكيد عروبة صنهاجة، وذلك بعد قيام الإمارات الحسانية بالصحراء، من أجل اظهار النسب العربى الحميرى للمجموعات الصنهاجية فكتب محمد امبارك اللمتونى[3] مثلا أرجوزته حول أمراء الدولة اللمتونية، وضمنها نسبهم الحميرى، وكذلك كتب الداه بن الطالب اعتبيدى[4] كتابه «الدرر الوهاجة فى حميرية صنهاجة»، ويضاف إليهما مؤرخون وكتاب محليون آخرون كثر.

وإذا كان معظم النسابة والمؤرخين العرب القروسطيين لا يختلفون حول عروبة صنهاجة، وإنما حول ما إذا كانت تلك القبيلة تنسب إلى سبأ لصلبه، أو

---

(1) الحلل الموشية، مصدر سبق ذكره، ص: 46.

(2) الشيخ محمد اليدالى: أمر الولى ناصر الدين: ضمن نصوص من التاريخ الموريتانى (شيم الزوايا – أمر الولى ناصر الدين – رسالة التصحيحية)، تقديم وتحقيق محمذن ولد باباه بيت الحكم قرطاجة، 1990، ص: 137 - 138.

(3) محمد امبارك اللمتونى: نظم فى الدولة اللمتونية: مخطوط بالمعهد الموريتانى للبحث العلمى محفوظ تحت رقم n.j 2338.

(4) الداه بن الطالب اعتبيدى الدرر الوهاجة فى حميرية صنهاجة – مخطوط، مودع بالمكتبة الوطنية نواكشوط – موريتانيا.

كونها فخذ من هوارة، وأن هذه الأخيرة فخذ من حمير[1]، فإن قلة من النسابة والمؤرخين يرفضون نسبتها إلى حمير أصلا، ويتقدم هذا الفريق ابن حزم[2] الذى رفض كون البربر ينتسبون إلى قيس غيلان، بقدر ما رفض حميرية صنهاجة، وذلك عندما كتب يقول: «... وما علم النسابون لقيس غيلان ابنا اسمه بر أصلا، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر إلا فى تكاذيب مؤرخى اليمن...».

وخلص ابن حزم إلى أن البربر كنهانيون، وأن جدهم بر انجب ابنين هما: مادغيس الملقب بالابتر جد البتر وبرنس جد صنهاجة وكتامة الخ[3].

ويبدو أن مؤرخين آخرين من بعده تبنوا رأيه من بينهم مثلا أبو الفداء[4] وإن كان أشهر من تبناه ودافع عنه هو ابن خلدون الذى أورد قصة افريقش، وذلك أثناء سرده لبعض الامثلة المتعلقة حسب نظره باسراف بعض المؤرخين المسلمين فى ايراد الاساطير وسهولة تصديقهم بها وتقبلهم لها، وارجع ذلك إلى غياب التدقيق، وافتقار منهجهم للنقد فكتب يقول: «... ومن الأخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة فى اخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب أنهم كانوا يغزون من قراهم باليمن إلى إفريقية والبربر من بلاد المغرب، وأن افريقش بن قيس بن صفى (...) غزا إفريقية واثخن فى البربر (...) وأنه لما انصرف من المغرب حجز هنالك قبائل من حمير، فأقاموا بها واختلطوا بأهلها ومنها صنهاجة وكتامة ومن هنا ذهب الطبرى والجرجانى والمسعودى وابن الكلبى والبيلى إلى أن صنهاجة وكتامة من حمير وتأباه نسابة البربر وهو الصحيح...»[5].

---

(1) ابن أبى زرع: مصدر سبق ذكره، ص: 120.

(2) أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسى: جمهرة انساب العرب تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المصارف، القاهرة، 1971، ص: 485.

(3) نفس المصدر ونفس الصفحة.

(4) أبو الفداء صاحب حماة: الاخبار القويمة عن الحوادث القديمة. ذيل على كتاب الأثار الباقية عن القرون الخالية للطبرى مطبعة محمد محمد مطر، مصر 1919، ص: 392 - 393.

(5) عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة. الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر - تونس 1984، ص: 40.

واستعرض ابن خلدون بعد ذلك روايات تدور حول ملوك يمنيين آخرين ذكر الاخباريون أنهم غزوا المغرب قبل افريقش، وانتهى إلى الحكم على تلك الروايات بما نصه «... وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة فى الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصاص الموضوعة...»[1]. وقد حاول ابن خلدون تعليل هذا الحكم، حيث أورد جملة من المبررات اعتقد بانها كافية من أجل تزكية ما ذهب إليه[2] نجملها فيما يلى:

1- اعتبر أن ملك التبابعة كان بجزيرة العرب، وأن هذه الأخيرة محاطة بالمياه من ثلاث جهات، حيث يحدها المحيط الهندى من الجنوب ، والخليج العربى من الشرق والبحر الأحمر من الغرب، وأن ذلك كان كافيا لإعاقة الهجرة منها إلى المغرب إلا عبر منفذ واحد هو السويس.

2- ثم اعتبر بأن ذلك المنفذ، كان خارجا عن سلطة التبابعة وأنه من المستحيل أن يمروا عبره غازين من دون أن يخضعوه، وهو أمر ذكر أنه لم يقع على الإطلاق.

3- أما المبرر الأخير، فاعتبره، بعد اليمن عن المغرب، وأنه حتى إذا حصل أن تم الغزو، فإن ذلك يتطلب الكثير من الزاد للجيوش، وكثيرا من العلوفة لمطاياهم وهو أمر - حسبه - لا يمكن توفيره إلا لمن اخضع المناطق الواقعة بين اليمن والمغرب حتى يوفر سكانها له ذلك.

ويعتبر ابن خلدون المصدر الرئيسى لمعظم الكتاب الذين عاصروه أو كتبوا من بعده خاصة فيما يتعلق بانساب البربر، بحيث اكتفى معظم المؤلفين الذين اعتمدوا كتاباته بنقل آرائه والتسليم بها.

ويرى بعض الباحثين أن قبائل صنهاجة التى إستقرت فى الصحراء بعد

---

(1) نفس المصدر، ص: 41.

(2) نفس المصدر ونفس الصفحة.

هجرتها إليها من شمال إفريقيا، لا تتميز عن العرب بخصائص جنسية ولا بنمط حياة معين، وإنما الذى يميزها عنهم هو اللغة فقط[1].

ونحن وإن كنا لا نعير للانساب أهمية ذات بال، فإننا مع ذلك سنناقش هذه المسألة بإيجاز، والهدف الأساسى الذى نرمى إليه من وراء ذلك يتمثل فى أن النتيجة التى سنتوصل إليها، قد تكون ضرورية من أجل فهم حقيقى للخلفيات الحضارية لسكان الصحراء من الملثمين، الذين يعتقد البعض أن أصولهم العربية تتجلى بوضوح فى عاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الحضارية[2]، وأن ذلك هو الذى سهل مهمة الفاتحين العرب وعجل بالاندماج المذهل بين الفريقين.

وإذا كان ابن حزم هو زعيم قطب الرفض فى هذه المسألة بحيث جعلها فى إطار ما سماه ب «تكاذيب مؤرخى اليمن»، فإننا نعتقد بأن مؤرخى اليمن أدرى بتاريخ بلادهم وسير أحداثها من موالى العرب الذين يعتبر صاحبنا من ضمنهم، إذ هو فارسى الأصل، ومولى لبنى أمية، كان والده أحمد وزيرا للمنصور محمد بن أبى عامر، كما استوزر هو نفسه من طرف المستظهر بالله عبد الرحمن بن هشام سنة 414هـ، وهذه العلاقة التى كانت تربطه ببنى أمية فى ذلك العهد تجعلنا ننظر إلى آرائه المتعلقة بصنهاجة بعين الريبة، حيث أننا نعلم أن بنى أمية كانوا وقتها متحالفين مع الزناتيين ضد الفاطميين المتحالفين مع صنهاجة وكتامة، ومما يجعلنا نتمسك بهذه الريبة أكثر كون ابن حزم اكتفى برواية نقلت عن أيوب بن أبى يزيد[3] الذى كان والده زناتيا وثائرا على الفاطميين حاربهم فترة طويلة بجموع كثيرة، فقتلوه فى نهاية المطاف وهزموا جيوشه وقضوا على مطامح قومه، وبالتالى فهو بلاشك عدو لحلفائهم من صنهاجة وكتامة.

---

(1) شارل اندرى جوليان، تاريخ إفريقيا، ترجمة طلعت عوضى أباظة، مراجعة عبد المنعم ماجد، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ، 1968 ،ص: 23.

(2) عبد العزيز بنعبد الله: تاريخ المغرب – ج1 العصر القديم والعصر الوسيط – مطبعة الجامعة الدار البيضاء – د.ت، ص: 45 و 46.

(3) بن حزم الندلسى: مصدر سبق ذكره، ص: 495.

وعلى الرغم من المكانة العلمية المتميزة لابن حزم والتى يعترف له بها كثير من المؤلفين خاصة فيما يتعلق بعلم الأنساب، فإن ذلك لم يمنع بعضهم من وصفه بالشذوذ وعدم التدقيق خاصة فيما يتعلق بصنهاجة، ومن ذلك مثلا ما كتبه عنه القادرى عندما قال: «... وشذ ابن حزم فذكر صنهاجة فى عدد قبائل البربر وفيه نظر»[1].

وقد أورد ذلك المؤرخ لائحة بأسماء جمهور من النسابة والمؤرخين العرب اعتقد بأن حججهم كافية لتفنيد ما ذهب إليه ابن حزم[2].

أما ابن خلدون الذى اعتبرى للدفاع عما أورده ابن حزم فى بداية مقدمته[3] فإنه ما لبث أن تناقض مع ما سبق أن اعلنه فى نفس الكتاب، فقبل بسهولة ما كان قد رفضه بتشدد وسفه كل المؤرخين الذين أوردوه، وابرز مثال على تناقض ابن خلدون فى مقدمته، قوله: «... واعتبر ذلك أيضا بحال العرب السالفة من قبل مثل التبابعة وحمير، كيف كانوا يخطون من اليمن إلى المغربة مرة، وإلى العراق والهند أخرى، ولم يكن لغير العرب من الأمم...»[4] كما أنه لم يلتزم بنفس الرأى عندما تعرض لمناقشة انساب البربر فى كتابه «العبر»، وهى مسألة عادية، إذ أثبت الدارسون أن ابن خلدون لم يلتزم دائما فى كتابه ذلك بكل ما أورده وأعلن عنه فى مقدمته، وفى هذا المضمار وخاصة فيما يتعلق بحميرية صنهاجة التى كان قد رفضها، فإنه يقول أيضا ما نصه: «... ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر الذين قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة فإن بين نسابة

---

(1) محمد بن الطيب القادرى: نشر المثانى لأهل القرن الحادى عشر والثانى، ج4، تحقيق محمد حجى وأحمد توفيق، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ج1، ص: 165.

(2) نفس المصدر، ص: 164.

(3) ابن خلدون: المقدمة، مصدر سبق ذكره، ص: 41.

(4) ابن خلدون: نفس المصدر، ص: 192.

العرب خلافا والمشهور أنهم من اليمنية وأن أفريقش لما غزا إفريقية انزلهم بها...»[1].

وبغض النظر عن كون صنهاجة من حمير أو غيرها من قبائل العرب، فإن ما ذهب إليه كل من ابن حزم وابن خلدون، من عدم وجود طريق يمكن أن يستخدمه المهاجرون من اليمن إلى المغرب لا يصمد أمام الحقيقة التى أكدها تدفق أمواج الفاتحين العرب بمن فيهم اليمنيون، ومن بعدهم قبائل بنى هلال وبنى سليم التى يعتقد ابن خلدون نفسه أنها ذات أصول يمنية[2].

لكننا نتفق معهما حول عدم امكانية حدوث هجرة من هذا النوع على شكل غزو انطلق من اليمن هدفه الوصول إلى المغرب قبل اخضاع المناطق الواقعة بين المنطقتين، ونعتقد بأن هذا الجانب من الرواية اختلط بالاسطورة التى نسجت حول الموضوع، والتى نعتقد أنها حافظت على روح الحدث، وهو وقوع هجرة من اليمن إلى المغرب خلال فترات قديمة عبر مراحل استقرار هى الشام – مصر افريقية. وهذا الطريق اتفق عليه المؤرخون على إختلاف رواياتهم[3].

أما الوجه الآخر فيتمثل فى كون كل من ابن حزم وابن خلدون انتهيا إلى القول بأن البربر بمن فيهم صنهاجة من ابناء كنعان، ونحن نعرف أن موطن الكنعانيين القديم هو الشام، ولقد دعمت التقنيات الأثرية الحديثة بدلائل مادية حدوث هجرات بشرية من الجزيرة العربية باتجاه الشام ومصر، وكانت على شكل موجات بشرية كانت أولاها سنة 9000ق.م تقريبا، أما أكبرها حجما وأكثرها تأثيرا فهى تلك التى حدثت ابتداء من سنة 3500 ق.م[4].

---

(1) العبر، المجلد 6، ص: 191.

(2) نفس المصدر، ص: 125.

(3) انظر مثلا ابن الأثير: الكامل، ص: 74 والنويرى: نهاية الأرب، ص: 30 الخ.

(4) محمد حسين الفرح: «بعد الكتشفات الأثرية الجديدة فى اليمن: وحدة الحضارة القديمة للامة العربية». المنابر – السنة الثالثة – العدد 27 مايو 1988 ، ص. ص : 136 - 143.

وكذلك قام الملك الحميرى شمس آدد بن وائل الذى حكم اليمن ابتداء من سنة 2150ق.م بحملة كبيرة قاد اثناءها موجة عربية كبرى، وكان من نتائج تلك الحملة ترسيخ الوجود العربى فى العراق وتوحيد الشام ومصر تحت سلطة الهكسوس العرب[1]، ومن غير المستبعد أن تكون المجموعات العربية التى استقرت فى مصر خلال عهد الهكسوس قد فر الكثير منها باتجاه المغرب بعد اسقاط سلطتهم من طرف المصريين، كما لا يستبعد أن يكون أولئك الفارون قد سلكوا نفس الطريق الذى سلكه الفاتحون إلى المغرب، والذى سلكته الهجرات العربية من مصر إلى المغرب خلال القرن 11 م.

وعلى كل حال فإنه من المؤكد أن هجرات عربية توالت على المغرب عن طريق مصر خلال الفترة ما بين سنة 1500 ق. م – 1200 ق.م[2] كما اشارت المصادر العربية الوسيطة إلى وجود كتابات بالخط الحميرى بخرائب قرطاجة، قرأها بعض الفاتحين العرب آنذاك[3].

وسيطول بنا الحديث إن نحن حاولنا تتبع الهجرات العربية القديمة من الجزيرة العربية إلى المغرب، وإبراز أهميتها فى تبرير ما تدعيه بعض المجموعات فى المنطقة حول أصولها العربية، ودعم النسابة والمؤرخين لذلك الادعاء.

وخلاصة القول أن تلك الهجرات العربية القديمة أثرت على الخريطة البشرية بالمغرب، بغض النظر عن الفرع الذى ينتمى إليه أولئك المهاجرون، أو الطريقة التى تمت بها الهجرة (طريقة سلم، غزو، الخ...).

أما ما ذكره بعض النسابة والمؤرخين من تقسيم جينا لوجى للبربر معتمدين

---

(1) محمد حسين الفرج: «الحضارات العربية الكبرى فى العصور القديمة» المنابر – السنة الرابعة العدد 37 مارس 1989، ص: 149.

(2) محمد حسين الفرح: المنابر عدد 27، مرجع سبق ذكره، ص: 143.

(3) مجهول كتاب: «الاستبصار فى عجائب الامصار» نشر وتعليق د. سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة (آفاق عربية) بغداد 1986، ص: 124.

على عمود النسب، وأنهم ينقسمون إلى مجموعتين إحداهما: البتر لأبيهم مادغيس الابتر بن بر، والأخرى لبرانس لأبيهم برنس بن بر، فإنه - فى نظرنا - لا يعدو كونه محاولة لتبرير وجهة نظر من خلال تطبيق الفكرة العربية السائدة آنذاك فى إطار الصراع بين القيسية والمضرية، على مجموعات قديمة متعددة القبائل، والبطون وقتها، ويستبعد أن يتم التوصل إلى إعادتها خلال تلك الفترة إلى جد مشترك.

وبالتالى فإننا نؤيد الرأى القائل بأن العرب فى العصر الوسيط ميزوا بين البتر والبرانس على أساس اختلاف اكتشفوه بين هاتين المجموعتين فى العادات والتقاليد ونمط الحياة، فكان الذى الغالب عند إحدى تلك المجموعات قصيرا بحيث لم يكن يغطى كامل الجسم فاعتبروه مبتورا واطلقوا على مرتديه البتر: فى حين كان الزى الغالب عند المجموعة الأخرى هو البرنس فسموها به[1] ومن ضمن هذه المجموعة الأخيرة صنهاجة التى ينتمى إليها الملثمون.

---

(1) غرتييه: مرجع سبق ذكره، ص: 165.